انا الميت الحي

لترفيق مفرّج
صاحب كتاب « آلام وآلام »

الوداع ايها الشعر والحب
الوداع ايها الشباب والقلب
انتم الحياة ، فالوداع ايتها الحياة
الوداع ايتها العاطفة التي لا تزال مضطرمة متأججة في صدري
الوداع ايها الفن — ايتها الموسيقى — ايها الغناء
الوداع ايها الخيال — الوداع ايها الالهام
انا سائر في سبيلي
انا اهدو وراء اشغالي واعمالي
انا منصرف عن ادبي الى تجارتي ، وعن جمع الحكمة والافكار، الى جمع المال والدينار
فالوداع ياقلمي !

* * *

منذ عشر سنوات القيت بنفسي في بحر هذا العالم الواسع
قلت للناس — انا اديب احب الادب وعالم احب العلم و مفكر احب التأمل والتفكير
وقفت في زوايا الشوارع اعرض بضاعتي واقدم اثمار افكاري
وكانت الجماهير العمياء تمر وتنظر نحوي بازدراء واحتقار، وفي نظراتها شفقة اشد من ذلك الازدراء ، ورحمة أذلُّ من ذلك الاحتقار
وكانت تموجات الاثير تحمل اليَّ كلمات عابري السبيل يقولون :
شاعرٌ تاعس وكاتب فقير !

***

وكنت انادي بصوت عال
عندي اشعار وعندي علوم !
عندي فلسفة وعندي آداب !
فلم يكن ثمة من يسمع

ولم يكن ثمة من يجيب
ولم يكن ثمة من يشتري
كسدت افكاري ، وبارت بضاعتي ، وضاعت آمالي
فاضطررت ان اصرف عن الشعر والعلم ، الى التجارة والمال

* * *

وبعد سنين جئت الى اولئك الذين احتقروني شاعراً وازدروني كاتباً وقلت
عندي اشياء جديدة
عندي اموال
عندي سيارات
عندي منازل وعزب واطيان
واذا باعداء الامس يتحولون الى أصدقاء
والذين يقولون شاعر تاعس فقير ، ثم ثم يقولون
تاجر عظيم ومتمول كبير
راجت بضاعتي المادية لان الناس ماديون يفهمونها ويطلبونها . وكسدت بضاعتي الادبية لان الناس لاهون عن الادب ، عن الشعر ، عن الفلسفة ، عن الخيال والفن

* * *

اما انا —
فأنا التاجر الخاسر رغم ارباحي
انا الكاتب الغني الذي يشعر بفقره
بعت روحي لاشتري جسدي
اضعت حياتي لاجد لذتي
هبطت من الحياة الى الموت ، ومن النور الى الظلمة ، ومن سماء الخيال الى حضيض الارض
بعت القصور الجميلة في الهواء ، لاشتري داراً حقيرة على الارض
أنا الشاعر الذي قدم دفاتره إلى محكمة الادب العليا فاعلنت افلاسه
أنا الشاعر التاجر الذي مات شاعراً ليحيى تاجراً

* * *

وها أنا الآن استعرض امام نفسي ما جمعت من مال فاجده لا يوازي كلمة واحدة من شعري

لان شعري وليد روحي وغذاؤها وحياتها
هو رفيقها بعد الموت الى ما وراء الابدية
هو سلواها في أفراحها وأحزانها لانهُ خالد مثلها
هو جزءٌ مني لا يتجزأ عني إن عشت ، ويبقى معي بعد أن أموت
أما مالي فلصبية ألهو بها أياماً ثم أتركها لسواي

***

فيا أيها العالم الجميل البديع الذي عرفتهُ في تعاشر اهل الدنيا — قل لي كيف وأنا صحيح عقلاً وجسداً ، اهجر قلمي وانبذ شعري لاعود إلى تجارتي ومالي
كيف أرضى أن أحيي يوماً لاموت أبداً
أيها الذين يعرفونني — انظروا إليَّ وأشفقوا عليَّ
أنا الميت الحي !
انظروا كفني
هو أوراق مالية مكتوب عليها تدفع ذهباً ولا تدفع إلاَّ ورقاً
انظروا إلى نعشي
سندات وقراطيس
انظروا إلى قبري
هو قطعة من الفضة موشاة بالذهب
ايها الناس !
لقد ربحت العالم وخسرت نفسي
ايتها السماء
خذي مالي وجميع ما ملكت يداي وارجعي اليَّ شعري

***

لبست ثوب الشاعر فمات جسدي جوعاً وبرداً
ولبست ثوب التاجر فتنعم ذلك الجسد بالدمقس والحرير
اما الروح التي تنعمت في جسد الشاعر لفقره وبؤسه
فهي الروح التي تتألم في جسد التاجر لثروته وماله